

سورة الإسراء

﴿الآيتان: 109 - 110﴾

الدرس
28

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف أن تعدد أسماء الله الحسنى لا تنافي وحدانيته.
- 2- أن أستنتج من الآيتين منهاج الوسطية والاعتدال.
- 3- أن أستحضر نعم الله علينا فأحمده عليها.

تمهيد

بعد أن أثبت الله سبحانه إعجاز القرآن الكريم للعالمين؛ بين سبحانه في هاتين الآيتين أن له الأسماء الحسنى، وأنه لم يتخذ ولدا ردا على من ادعى أن الرسول ﷺ يشرك بالله تعالى حينما يدعو بأسمائه الحسنى، ثم وجه سبحانه نبيه ﷺ إلى التوسط في الصلاة بين الجهر والإسرار، وأن يحمد الله تعالى الواحد الأحد الذي لم يتخذ والدا ولا ولدا.

فما هي مبادئ التوحيد التي تضمنتها الآيتان؟ وكيف أستفيد من توجيهات الله سبحانه لنبيه ﷺ؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْبُدُوا اللَّهَ أَوْادًا غَوًّا الرَّحْمَنُ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْعَلُوا بَصَلَةً وَلَا تَخَافُوا بَدْعًا وَابْتَغِ بَيْنَنَا الْكَسْبَ سَبِيلًا ۝ 109 وَفَرِحْنَا بِكُمُ اللَّهُ إِلَهِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا ۝ 110﴾

[سورة الإسراء: 109 - 110]

الفهم

الشرح :

الْحَسَنِي

: مؤنث الأحسن الذي هو أفعل تفضيل.

وَلَا تَخَافُ بَقَا

: ولا تخفض صوتك حتى لا يسمعك من خلفك في الصلاة.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّالِ : لم يكن له ناصر من أجل العجز والافتقار.

وَكَبِيرُهُ

: اعتقد أنه كبير.

استخلاص مضامين الآيات:

1- هل تعدد أسماء الله الحسنى ينافي وحدانيته؟

2- ما هو توجيه الله تعالى لرسوله ﷺ الوارد في الآيتين؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: دعاء الله سبحانه بالأسماء الحسنى لا ينافي وحدانيته:

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ أَدْعَاؤَ الرَّحْمَنِ﴾، سبب نزول هذه الآية أن المشركين سمعوا رسول الله ﷺ يدعو: "يا الله يا رحمن"، فقالوا: كان محمد أمرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو إلهين، قاله ابن عباس.

وقال مكحول: تهجد رسول الله ﷺ ليلة فقال في دعائه: "يا رحمن يا رحيم"، فسمعه رجل من المشركين، وكان باليمامة رجل يسمى الرحمن، فقال ذلك السامع: ما بال محمد يدعو رحمن اليمامة، فنزلت مبينة أنها لمسمى واحد، فإن دعوتموه بالله فهو ذلك، وإن دعوتموه بالرحمن فهو ذلك.

" والدعاء في قوله: ﴿قُلْ ادْعُوا﴾ بمعنى التسمية وهو يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه، و﴿أَوْ﴾ للتخيير". [أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي: 3/ 270] "و(أي) اسم استفهام في الأصل، فإذا اقترنت بها (ما) الزائدة أفادت الشرط كما تفيد كيف إذا اقترنت بها (ما) الزائدة؛ ولذلك جزم الفعل بعدها وهو " تدعوا " شرطاً، وجيء لها بجواب مقترن بالفاء وهو ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا سَمَاءُ الْحُسْنَى﴾" [التحرير والتنوير لابن عاشور: 15/ 236]. "والتنوين في ﴿أَيَّ﴾ عوض عن المضاف إليه، و﴿مَا﴾ صلة لتأكيد ما في ﴿أَيَّ﴾ من الإبهام، والتقدير: أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فلله الأسماء الحسنى. والضمير في ﴿قُلْ﴾ ليس برافع إلى أحد الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته عز وعلا، والمعنى: أيا ما تدعوا فهو حسن، فوضع موضعه قوله: فله الأسماء الحسنى؛ لأنه إذا حسنت أسمائه فقد حسن هذان الاسمان لأنه منها " [مفاتيح الغيب للرازي: 21/ 418].

ثانياً: التوسط والاعتدال في الصلاة:

ثم أمر رسول الله ﷺ أن لا يرفع صوته بصلاته وأن لا يسر بها، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ الْوَسِيلَةَ﴾ وحقيقة الإسرار هو الذي لا يسمعه المتكلم به، ولكنه في الآية عبارة عن خفض الصوت وإن لم ينته إلى ما ذكرناه. واختلف المتأولون في الصلاة ما هي؟ فقال ابن عباس وعائشة وجماعة: هي الدعاء. وقال ابن عباس أيضاً: هي قراءة القرآن في الصلاة. فهذا على حذف مضاف، التقدير: ولا تجهر بقراءة صلاتك. قال: والسبب أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن فسمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله، فأمر رسول الله ﷺ بالوسط؛ ليسمع أصحابه المصلون معه، ويذهب عنه أذى المشركين.

قال ابن سيرين: كان الأعراب يجهرون بتشدهم، فنزلت الآية في ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه يسر قراءته، وكان عمر يجهر بها، ففيل لهما في ذلك، فقال أبو بكر: إنما أناجي ربي

وهو يعلم حاجتي، وقال عمر: أنا أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، فلما نزلت هذه الآية قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلا، وقيل لعمر: اخفض أنت قليلا.

وقالت عائشة أيضا: "الصلاة" يراد بها في هذه الآية التشهد. وقال ابن عباس والحسن: المراد والمعنى: ولا تحسن صلاتك في الجهر ولا تسئها في السر، بل اتبع طريقا وسطا يكون دائما في كل حالة. وقال ابن زيد: معنى الآية النهي عما يفعله أهل الإنجيل والتوراة من رفع الصوت أحيانا فيرفع الناس معه، ويخفض أحيانا فيسكت من خلفه. وقال ابن عباس في الآية: إن معناها ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل، واتبع سبيلا من امتثال الأمر كما رسم لك، ذكره يحيى بن سلام والزهرائي. وقال عبد الله بن مسعود: لم يخافت من أسمع أذنيه. وما روي من أنه قيل لأبي بكر: ارفع أنت قليلا يرد هذا. ولكن الذي قال ابن مسعود هو أصل اللغة، ويستعمل الخفوت بعد ذلك في أرفع من ذلك.

ولما نهى الله سبحانه نبيه ﷺ عن الجهر بالدعاء أو قراءة الصلاة، أعقب ذلك بأمره بحمده سبحانه وإظهار توحيده عز وجل لدفع أو هام المشركين في اعتقادهم، فقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ردت هذه الآية على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أذاذا: عزيز وعيسى والملائكة ذرية الله، سبحانه وتعالى عن أقوالهم.

ثم رد الله سبحانه على العرب في قولهم: لولا أولياء الله لذل، فقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ﴾. وقيد لفظ الآية نفي الولاية لله عز وجل بطريق الذل وعلى جهة الانتصار، إذ ولايته موجودة بتفضله ورحمته لمن والى من صالحى عباده.

قال مجاهد: المعنى لم يحالف أحدا ولا ابتغى نصر أحد، وقوله: ﴿وَكَبِيرٌ لَّكَ كِبِيرٌ﴾ أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال. ثم أكدها بالمصدر تحقيقا لها وإبلاغا في معناها. وسميت هذه الآية: آية العز.

وروى مطرف عن عبد الله بن كعب قال: افتتحت التوراة بفاتحة سورة الأنعام وختمت بخاتمة هذه السورة.

ثالثاً: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد كثيرة، منها:

- تأكيد الله سبحانه وتعالى على وحدانيته وإن تعددت أسماءه الحسنى التي منها الرحمن والرحيم. فتعدها لا يدل على تعدد الآلهة كما فهم المشركون خطأً.
- نفي الولد والشريك عن الله سبحانه، ونفي احتياجه عز وجل للنصير والمعين.
- بيان الله سبحانه نعمه وفضله على رسوله ﷺ وعلى أمته من خلال إرشاده تعالى إلى وسيلة دعائه والتقرب إليه؛ إذ بين سبحانه أنه يستجيب دعاء عباده بأي اسم دعوه سواء باسم الرحمن أو الرحيم أو بأي اسم من أسمائه الحسنى.
- توجيه الله تعالى رسوله ﷺ إلى الوسطية في الصلاة وبحمده سبحانه الواحد العزيز.

التقويم

- 1 - كيف رد الله سبحانه وتعالى على شبه المشركين المتعلقة باسمه "الرحمن"؟
- 2 - أستنتج من الآيات مبدأ الوسطية والاعتدال من خلال توجيه الله سبحانه لرسوله ﷺ.
- 3 - ما هي الآية التي سميت بآية العز؟ وما المقصد من تسميتها بذلك؟

يقول فخر الدين الرازي رحمه الله عند تفسير قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ **قَامُ عَوْلِيهَا** [الأعراف: 180]: "ثُمَّ إِنَّ لِنَاكَ الدَّعْوَةَ شَرَائِطَ كَثِيرَةً...، وَأَحْسَنُ مَا فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَحْضِرًا لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: عِزَّةُ الرَّبُّوبِيَّةِ. وَالثَّانِيَّةُ: ذِلَّةُ الْعِبُودِيَّةِ. فَهَذَا يَحْسُنُ ذَلِكَ الدُّعَاءُ، وَيَعْظُمُ مَوْقِعُ ذَلِكَ الذِّكْرِ، فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَانَ قَلِيلَ الْفَائِدَةِ. وَأَنَا أَذْكَرُ لِهَذَا الْمَعْنَى مَثَلًا، وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ فِي تَحْرِيمَةِ صَلَاتِهِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي النَّيَّةِ جَمِيعَ مَا أَمَكْنَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ مِنْ آثَارِ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ وَقُوَاهُ الْعَقْلِيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ أَوْ الْحَرَكِيَّةِ، ثُمَّ يَتَعَدَّى مِنْ نَفْسِهِ إِلَى اسْتِحْضَارِ آثَارِ حِكْمَةِ اللَّهِ فِي تَخْلِيقِ جَمِيعِ النَّاسِ وَجَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ النَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْآثَارِ الْعُلُويَّةِ مِنَ الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ وَالصَّوَاعِقِ الَّتِي تُوْجَدُ فِي كُلِّ أَطْرَافِ الْعَالَمِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ الْأَرْضِينَ وَالْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْمَفَاوِزِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ طَبَقَاتِ الْعُنَاصِرِ السُّفْلِيَّةِ وَالْعُلُويَّةِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ أَطْبَاقِ السَّمَوَاتِ عَلَى سَعَتِهَا وَعِظَمِهَا وَفِي تَخْلِيقِ أَجْرَامِ النُّجُومِ مِنَ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي تَخْلِيقِ الْكُرْسِيِّ وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَتِهِ فِي تَخْلِيقِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ. ثُمَّ يَسْتَحْضِرُ آثَارَ قُدْرَتِهِ فِي تَخْلِيقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَجُنُودِ عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ. فَلَا يَزَالُ يَسْتَحْضِرُ مِنْ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ وَالْمَرَاتِبِ أَقْصَى مَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمُهُ وَعَقْلُهُ وَذِكْرُهُ وَخَاطِرُهُ وَخَيَالُهُ. ثُمَّ عِنْدَ اسْتِحْضَارِ جَمِيعِ هَذِهِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَالْجِسْمَانِيَّاتِ عَلَى تَفَاوُتِ دَرَجَاتِهَا وَتَبَايُنِ مَنَازِلِهَا وَمَرَاتِبِهَا، وَيَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَيُشِيرُ بِقَوْلِهِ: "اللَّهُ" إِلَى الْمَوْجُودِ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَأَخْرَجَهَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، وَرَتَّبَهَا بِمَا لَهَا مِنَ الصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ، وَبِقَوْلِهِ: أَكْبَرُ، أَيُّ: أَنَّهُ لَا يُشَبِّهُهُ لِكِبْرِيَّائِهِ وَجَبْرُوتِهِ

وَعِزُّهُ وَعُلُوُّهُ وَصَمَدِيَّتُهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ، بَلْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا الْمِثَالَ الْوَاحِدَ فَقَسِ الذِّكْرَ الْحَاصِلَ مَعَ الْعِرْفَانِ وَالشُّعُورِ. وَعِنْدَ هَذَا يَنْفَتِحُ عَلَى عَقْلِكَ نَسَمَةٌ مِنَ الْأَسْرَارِ الْمُودَعَةِ تَحْتَ قَوْلِهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

[مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 15/ 415]

1 - كيف يؤثر الدعاء بأسماء الله الحسنى في تقويم السلوك واستقامة الإنسان؟

2 - أبين شروط التأثير بأسماء الله الحسنى.